تحت الصفر

محمود سالم

تحت الصفر

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

تحت الصفر

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٨ ٢٥٧٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
على حافَة الصَّحراء الموحشة!	١١
معركة قصيرة رائعة	١٧
في قرية الأشرار	٢٣
وجدنا البضاعة، الأسعار مرتفعة!	٢٩
فرقعة في القطب الجنوبي!	٣٥
دكتور «جمال زهران»	٤١
الحياة تحت الصِّفر	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

على حافَة الصَّحراء الموحشة!

على حافَة صحراء «بتاجونيا» الموحشة، وقف الشَّياطين الخمسة «أحمد»، و«عثمان»، و«إلهام»، و«هدى»، و«قيس»، ومعهم العجوز «فيجو»، ذلك الصَّياد الشَّهم الذي رافقهم خلال مستنقعات الشَّيطان؛ هربًا من «مارتينز» ورجاله، ومعهم أيضًا «موري» أحد زعماء قبيلة «منتزوما»، وصديق «فيجو».

كان الشَّياطين الخمسة مُجهَدين بعد مغامرة مثيرة، استمرت ثلاثة أيام في مستنقعات الشَّيطان ... ولكنهم في النهاية استطاعوا الهرَب من وجه «مارتينز» ورجاله ...

كان «موري» قد أقام لهم خيمتين كبيرتين يقضون فيها الليلة، ثم يستأنفون السَّفر عبر الصَّحراء إلى جمهورية «شيلي». وعندما جلس الخمسة قال «أحمد»: سوف ألخص لكم الموقف ... فلا بدَّ من اتخاذ قرار هام في المرحلة المقبلة.

إلهام: أي قرار؟

أحمد: هناك العودة إلى المقر السِّري لعرض ما تم إنجازه على رقم «صفر» ... أو مواصلة العمل في المغامرة حتى نهايتها.

إلهام: ذلك يتوقف على ما سنعرفه من فيلم المقر الذري الذي استولينا عليه من «مارتينز».

أحمد: هذا صحيح ... وكما نعرف جميعًا؛ فإن هذه المغامرة المحفوفة بالمخاطر، بدأت عندما قامت عصابة بخطف عالِم مصري شاب يُدعى الدكتور «جمال زهران»، كان يعمل في السُّويد مساعدًا لعالِم سويدي شهير، وُجد قبل أيام من خطف العالِم المصري في طائرة محطمة في جزر «فولك لاند».

هدى: بأيدي نفس العصابة على ما أظن.

أحمد: في البداية لم نكن نعرف ... ولكن بعد أن تقرر أن نقوم باستطلاع عن الطائرة المحطَّمة، حضرنا إلى «الأرجنتين» وجئنا إلى قصر «مارتينز»، وهو المليونير الذي يملك الطائرة التي تحطمت في جزر «فولك لاند»، قد تأكد لنا أن العالِم المصري قضى ليلة في مقر «مارتينز»، قبل أن يُنقل إلى المركز الذري في القطب الجنوبي.

وصمت «أحمد» لحظات، ثم قال: وكما نعرف فقد استطعنا الحصول على فيلم يصور هذا المركز الذري ... فإذا استطعنا تحديد مكان هذا المركز؛ فسيكون أمامنا قرار هام ... هل نعود إلى المقر السري للاستعداد لجولة جديدة ثالثة في هذه المغامرة ... أم نواصل العمل، ونسافر فورًا إلى القطب؟

هدى: المهم المعلومات التي سيفسرها لنا الفيلم.

أحمد: الفيلم هنا، ولكن المهم آلة العرض والكهرباء، إننا الآن على حافة صحراء «بتاجونيا»، أكثر صحراوات العالَم وحشةً وجفافًا، ولا ندري كم من الوقت سنقضي قبل أن نصل إلى مدينة يمكن أن نشاهد فيها الفيلم.

ساد الصَّمت بعد هذا الحديث ... وغرق كل واحد من الشَّياطين في خواطره، وسمعوا جميعًا صوت الريح في الخارج، كانت عاصفة على وشك الهبوب ... وتحدث «قيس» لأوَّل مرة قائلًا: هناك اقتراح ثالث.

والتفت إليه الجميع، فقال: إنني أقترح بدلًا من إضاعة الوقت في عبور الصَّحراء إلى «شيلي» أن نعود مرة أخرى إلى «الأرجنتين».

لم يعلق أحد من الشَّياطين على هذا الاقتراح المذهل، ومضى «قيس» يشرح فكرته: لقد عرف «مارتينز» أننا هربنا عبر المستنقعات. ونهاية المستنقعات هي بداية صحراء «بتاجونيا»، وبالطبع سيتوقع أن نجتاز هذه الصَّحراء بشكل أو بآخر، حتى نصل إلى «شيلي» بعيدًا عنه، وعن نفوذه ... ولكن هل من المستبعد أن ينتظرنا «مارتينز» في «شيلي»؟

لم يرُد أحد، فمضى «قيس» يجيب عن السؤال: إنه لا يستطيع متابعتنا بالطائرة، وليس من المستبعد أن يكون لاتحاد العصابات فرع في «شيلي» ... بل من المؤكد أن لهم هناك قوة لا تقل ضراوةً عن قوتهم في «الأرجنتين» ... يخيل لي أن فرارنا من «الأرجنتين» إلى «شيلي» يشبه الانتقال من المقلاة إلى النار.

بدأت عيون الشَّياطين الأربعة تلمع بالإدراك والفهم ... ومضى «قيس» يقول: ولكن من المؤكد أن «مارتينز» لن يتوقع مطلقًا أن نعود إلى «الأرجنتين»، ولهذا فإن عودتنا هناك ستكون عمليةَ تمويهٍ لا يمكن توقعها ... خاصةً إذا ذهبنا إلى العاصمة «بيونس آيرس»،

حيث سنغيب في زحام العاصمة ... وهناك، يمكن وبسرعة، على ضوء المعلومات التي سنجدها في الفيلم، أن نقرر السَّفر إلى المقر السري، أو الاستمرار في المهمة ...

قالت «إلهام»: إنني موافقة ... فالمخاطر في الصَّحراء لا تقلُّ عن مخاطر دخول «بيونس آيرس»!

ووافق «عثمان» و«أحمد» و«هدى»، وقال «أحمد»: سنبقى هنا هذه الليلة فهذه الرِّياح بدايةٌ لعاصفةٍ هوجاء.

ودخل «فيجو» ومعه «موري»، وتحدَّث «موري» إلى «فيجو» بلغة لم يفهمها الشَّياطين، فلما انتهى من حديثه، تحدث إليهم «فيجو» قائلًا: إن صديقي «موري» يقترح أن تقضوا الليلة في هذا المكان. فهذه العاصفة ستدفننا في الرمال لو خرجنا إلى الصَّحراء.

ردَّ «أحمد» قائلًا: كم من الوقت تستمر هذه العاصفة؟

تحدَّث «فيجو» مع «موري»، ثم قال: إنها قد تستمر فترة بين ثلاثة، وخمسة أيام.

التفت الشَّياطين إلى «قيس». كان معه كل الحق في اقتراح العودة إلى «الأرجنتين» فورًا ... فإن قضاء ثلاثة أيام أو أربعة أو خمسة في هذا المكان، معناه إضاعة وقت ثمين هم في أشد الحاجة إليه، كما أنه يضعهم في مأزق خطير ... فلو أن «مارتينز» عرف مكانهم لاستطاع اصطيادهم ببساطة، كما يصطاد الذئب الدجاج في حظيرة مغلقة!

قال «أحمد» موجهًا الحديث إلى «فيجو»: هل تثق بـ «موري» جدًّا؟

فيجو: بالطبع ... إنني أعرفه منذ زمن بعيد. وقد أنقذت حياته عندما دخل المستنقعات بطريق الخطأ وكاد يهلك فيها.

أحمد: إذن قل له إننا عدَلْنا عن اجتياز صحراء «بتاجونيا».

فيجو: هل هذا معقول؟ وأين تذهبون إذن؟!

أحمد: سنعود إلى «الأرجنتين» مرة أخرى ... إن قضاء ثلاثة أو خمسة أيام في هذا المكان في انتظار سكون العاصفة، سيُضيِّع علينا فرصة الاستفادة من معلوماتنا عن «مارتينز» ... وفي نفس الوقت قد يعثر هو علينا هنا، فنقع في يده ... ولكنَّه لن يتصور أبدًا أننا سنعود إلى «الأرجنتين» مرةً أخرى.

فيجو: إنني معكم أينما تذهبون.

أحمد: نريد أن نسير بسرعة على حدود الغابات والصَّحراء إلى أقرب مكان يمكن أن نستأجر فيه سيارة.

فيجو: إن «موري» يعرف هذه الأنحاء أفضل مني، وسوف أسأله.

وتحدث «فيجو» و«موري» فترة من الوقت، وهما يشيران بأيديهما ... وعندما كفَّا عن الكلام، قال «فيجو»: لحُسن الحظ، هناك قرية قريبة بها محطة بنزين، وقد نجد هناك سيارة للبيع أو للإيجار.

ابتسم «أحمد» قائلًا: هذا يناسبنا جدًّا ... وسوف نتحرك في الصَّباح الباكر.

خرج «موري» و«فيجو»، وجلس الشَّياطين الخمسة يناقشون الموقف ... ثم ذهبت «إلهام» و«هدى» إلى الخيمة الثانية، وبقي الشَّياطين الثلاثة «أحمد» و«عثمان» و«قيس» ... وكانت الشَّمس قد مالت للمغيب، وساد سكون موحش، لا يُسمع فيه سوى صوت الرياح العاصفة، وهي تنهب الصَّحراء الواسعة. وسرعان ما استغرق الجميع في نوم عميق ...

استيقظت «هدى» في الخامسة صباحًا، على صوت حوافر خيول تتحرك في العاصفة ... استطاعت أذناها المرهفتان أن تلتقطا الأصوات الثقيلة وسط أزيز الرياح ... ظلَّت تستمع لحظات حتى تأكدت، ثم قفزت من فراشها وأيقظت «إلهام» واستمعتا معًا إلى الأصوات، ثم قفزتا إلى سلاحهما المعلَّق على جدران الخيمة ... وفتحت «إلهام» فرجة صغيرة في باب الخيمة ونظرت إلى الخارج، لم يكن هناك ما يمكن رؤيته في الظلام، ولكن صوت الحوافر ازداد وضوحًا ... فأسرعت «إلهام» إلى خيمة الشَّياطين الثلاثة، فوجدت «قيس» قد استيقظ، وأنه يستعد لإيقاظ «عثمان» و«أحمد».

قالت «إلهام»: هل سمعت؟ إنها حوافر خيل.

قيس: لعلهم رجال «مارتينز»؟!

إلهام: ربما ... ولكن الصَّوت قادمٌ من الصَّحراء، وليس من المراعي.

قيس: معكِ حق. ولكن يجب أن نكون على حذر.

واجتمع الشَّياطين الخمسة في الخيمة الثانية ... ثم قال «أحمد»: سأذهب لرؤية «فيجو» و«موري» ... إنهما يعرفان أكثر.

وقفز «أحمد» بضع قفزات وصل بها إلى الخيمة الصَّغيرة التي نام فيها الرجلان. وكم كانت دهشته أن يراهما مستيقظَيْن ... قال «أحمد»: هل سمعتما؟!

فيجو: نعم ... إن «موري» يعتقد أنها قافلة من قوافل التهريب التي تهرِّب البضائع بين «شيلي» و«الأرجنتين».

أحمد: هل هناك خوف منها؟

فيجو: لا أدري ... سوف يتكفَّل «موري» بالحديث معهم عندما يقتربون.

عاد «أحمد» بهذه المعلومات إلى الشَّياطين الأربعة ... وقرروا أن ينتظروا ما سيحدث، وقامت «إلهام» و«هدى» بإعداد بعض الشَّطائر والشَّاي السَّاخن، وأقبل الجميع على إفطارهم في نهَمٍ شديدٍ.

مضت فترةٌ حتَّى أصبحت حوافر الخيل على مسافة قريبة، ثم توقفت ... وأرهف الشَّياطين أسماعهم لما يحدث، ولكن صوت الريح لم ينقل لهم إلا صهيلَ الخيل ... ومضَت فترةٌ دون أن يعود «موري» بالأخبار ... وفجأة فُتح باب الخيمة وظهر «فيجو»، وكان يبدو منزعجًا كما لم يرَوْه من قبل ... وقال بصوت مضطرب: لقد تأخر «موري»، وأخشى أن يكون قد وقع له مكروه.

قال «أحمد»: ماذا حدث بالضبط؟!

فيجو: عندما اقتربت الخيول تمامًا، خرجنا ننظر، وقد استطعنا رغم الظلام والرمال، أن نرى قافلة بها نحو عشرة أشخاص، ومعهم بعض البغال المحملة بالصَّناديق ... وطلب مني «موري» أن أنتظره، ثم ذهب للحديث مع رجال القافلة، وقد مضت نحو نصف ساعة، وأخشى أن يكون ...

وقبل أن يكمل جملته قفز «عثمان» جانبًا وقال: اسمعوا ... إن هناك صوت أقدام تقترب!

وتوقف الجميع عن الحديث، وحبسوا أنفاسهم في انتظار القادم ...

معركة قصيرة رائعة

كان صوت الأقدام متعثرًا، ثم سقط صاحبه على باب الخيمة. وأسرع «أحمد» بفتح الباب، فوجد «موري» ملقًى على وجهه، وقد قبضت أصابعه المتشنجة على ورقة ...

انحنى «أحمد» فوق «موري»، وجذبه مسرعًا إلى داخل الخيمة، وأحاط به الجميع ... وقال «أحمد» وهو يتناول الورقة من بين أصابعه: «إلهام» ... إنَّه مصابٌ!

انحنت «إلهام» على «موري»، وجسَّت نبضه وفتحت عينيه، ووجدت أنه مصابٌ بطعنة نافذة في الصَّدر. ولكن يمكن أن يعيش، فأخذت تُجري له الإسعافات اللازمة، بينما أخذ «أحمد» يقرأ الورقة ... كانت مكتوبة بالإنجليزية بخط رديء وفيها هذه الكلمات:

«لقد رفض هذا الغبي أن يقول لنا من أنتم ... ونحن نطلب منكم تسليم أنفسكم فورًا، وإلا أفنيناكم عن آخركم.»

لم تمضِ لحظة على قراءة «أحمد» للورقة حتى مرَّت رصاصة فوق الخيمة، وكان واضحًا أن القادمين لا يضيعون وقتًا ... إنه إنذارُ تسليمٍ أو قتلٍ!

قال «أحمد»: «عثمان» و«قيس»، سنتسلل من تحت الخيمة ونخرج لهم!

ثم التفت إلى «إلهام» وقال: عليكم بالانبطاح أرضًا ... أعتقد أنهم سيطلقون الرصاص على ارتفاع نصف قامة الواقف!

وانبطح الجميع على الأرض، ورفع الشَّياطين الثلاثة جانب الخيمة المطل على حدود المراعي، ثم تسللوا كالثعابين وخرجوا، وألقى الثلاثة نظرة جانبية على موقع الأعداء ... كانت الخيول تقف ساكنة، والرجال فوقها، وقد شرعوا بنادقهم في اتجاه الخيمة، وهمس «أحمد» إلى «عثمان»: أريدك أن تُسقط الرجل الأول بكرتك ... إن عددهم سبعة وليس عشرة كما قال «فيجو».

وأخرج «عثمان» من حزامه كرته الجهنمية، ووقف خلف الخيمة، ثم هزَّ الكرة في يده لحظات واستجمع قوته، ثم أرسلها كالقنبلة ... وشاهد الشَّياطين الثلاثة من خلف الخيمة، الرجل وهو يسقط من فوق ظهر حصانه جثَّةً هامدة ... وارتفعت أصوات زملائه الرجال، ونزل بعضهم ليرى ماذا حدث لزميلهم الذي وقع، بينما أخذ الباقون يطلقون رصاصهم على الخيمة كالمجانين ... وأشار «أحمد» أنهم سينتشرون على شكل مروحة، فاتجه «قيس» يسارًا، و«عثمان» يمينًا، وهما يزحفان ...

وأسرع «أحمد» إلى شجرة قريبة واختفى خلف جذعها للحظات، ثم قفز إلى شجرة أخرى أقرب إلى رجال العصابة، وتسلَّق الشَّجرة كالقرد، ثم استولى على غصن قوي، وأزاح الأغصان الرفيعة جانبًا، ثم مدَّ ذراعه بالمسدس «الكولت» الضخم، وأطلق رصاصة أصابت أحد الرجال فسقط. وطلقة أخرى أصابت رجلًا آخر ... وارتفعت أصوات الرصاص من كل جانب ... وأخذت الخيول المذعورة تصهل بصوت مرتفع ... وتجري في كل اتجاه.

قفز «أحمد» إلى الأرض ... لقد كانوا في أشد الحاجة إلى هذه الخيول لاستئناف رحلتهم ... وجرى بكل قوته إلى حصان كان قد أسرع إلى الأشجار، وبعد مناورة سريعة قفز على ظهره، ثم اتَّجه به إلى قافلة المهربين ... كانت البغال المربوطة أحدها إلى الآخر تزمجر وهي لا تستطيع الحركة، وكان الرجال بين جريح وهارب ... وبعد لحظات ظهر «عثمان»، وهو يمتطي حصانًا آخر، ثم ظهر «قيس» بحصان ثالث ... ورفع «أحمد» أصابعه علامة النصر؛ فلقد أنهوا المعركة بنجاح في دقائق قليلة، وكانت حصيلة المعركة رجلَيْن هاربَيْن، وواحدًا مغمًى عليه، هو الذي ضربه «عثمان»، وأربعة جرحى بالرصاص ... وسرعان ما كان الشَّياطين يجمعون الأربعة في مكان واحد ... وسأل «أحمد» «إلهام»: كيف حال «موري»؟

ردت «إلهام»: لا بأس ... ولكن يجب نقله فورًا إلى أحد المستشفيات.

أجال «أحمد» البصر في الرجال الأربعة ... كانوا جميعًا غلاظَ الملامح يبدو عليهم الشَّر والخسة. وكانت «إلهام» و«هدى» تقومان بتضميد جراحهم.

وقال «أحمد» موجهًا الحديث إليهم: لقد ضربتم زميلنا وكان رسولنا إليكم، ومن الواجب قتلكم جميعًا، ولكني سوف أفرج عنكم إذا قلتم لنا: لحساب مَن تعملون ... وما هي الشحنة التي معكم؟

لم يُجب الرجال الأربعة، وأخذوا يتبادلون نظرات صامتة ... فعاد «أحمد» يقول: لا بأس ... سوف أربطكم مع زميلكم الخامس، وأترككم في الصَّحراء تلقون حتفكم جوعًا وعطشًا، أو تفتك بكم الذئاب الجائعة والحيَّات المفترسة!

ولم يستجيبوا إلى طلب «أحمد» ... فأشار «أحمد» إلى «قيس» و«عثمان»، وسرعان ما قادا الرجال الأربعة إلى حافة الصَّحراء، وقام «قيس» بربطهم برباط محكم، ثم ذهب الثلاثة إلى الشحنة التي كانت فوق البغال. وانضمت إليهم «إلهام» و«هدى»، بينما بقي «فيجو» بجوار صديقه الجريح.

كانت الشحنة عبارة عن مجموعة من الصَّناديق الصَّغيرة، قد لُفَّت بعناية بالخيش والجلد ... وأخذ «عثمان» يفك أحد الصَّناديق بعناية، حتى وصل إلى خشب الصُّندوق، وعندما حاول إنزاله وجده ثقيلًا، فابتسم عن أسنانه البيضاء، وقال: لعلَّها شحنة من الذهب ... سنصبح أغنياء!

وتعاون «قيس» و«عثمان» على إنزال الصُّندوق، وقالت «إلهام»: ليس من المعقول أن يكون صندوقًا بهذا الحجم ثقيلًا إلى هذا الحد!

عثمان: إنه يزيد عمَّا تتصورين!

أنزل «عثمان» و«قيس» الصُّندوق الخشبي إلى الأرض. وبواسطة خنجر «عثمان» أطار جزءًا من الغلاف الخشبي، وظهر الصُّندوق الأصلي، وصاح «عثمان»: إنه من القصدير السَّميك، ومغلف من بعض جوانبه بالحديد!

قالت «إلهام»، وهي تتذكر: قصدير! شيء مدهش!

هدى: طبعًا ... إن صناديق القصدير لا تُستخدم إلا مع المواد المشعَّة!

أحمد: مواد مشعة؟! ذلك شيء يدعو للتفكير!

ووقف الشَّياطين الخمسة حول الشحنة الغامضة ... كانت الشَّمس قد ارتفعت في الأفق وبدا الجو مصفرًّا قليلًا، ولكن العاصفة ظلت مستمرة ... ساد الصَّمت لحظات، ثم قالت «هدى»: هل تنوي حقًّا أن تترك هؤلاء الرجال للموت؟!

قال «أحمد»: سنحاول أن نتظاهر أمامهم بذلك، لعل أحدهم يعترف!

كان الرجال الأربعة ينظرون إلى الشَّياطين في جمود، وزميلهم الخامس الذي أصابه «عثمان» بالكرة ما زال مغمًى عليه، وإن أخذ يتحرك تدريجيًّا ... وقال «أحمد»: هيا نستعد، إن الوقت يمضي.

قيس: إن عندنا ما يكفي من الخيول والبغال. ولكن الاثنين الهاربين ... هل سنطاردهما؟

أحمد: لا ... إنهما لن يذهبا بعيدًا، فلن يتمكنا من اجتياز المستنقعات، والحل الوحيد هو أن يعودا إلى الصَّحراء، وسوف يجدان الرجال الخمسة هنا ... ولعلهم يتعاونون على العودة إلى المكان الذي جاءوا منه!

إلهام: والشحنة؟

أحمد: سنأخذها معنا بعيدًا عن هذا المكان ثم ندفنها، وقد نعود إليها مرة أخرى إذا دعا الأمر.

إلهام: هل فكرت فيما تحتوي هذه الشحنة؟

أحمد: إذا لم أبالغ؛ فإنني أعتقد أنها مواد مشعة مهرَّبة عبر الحدود من «شيلي» الغنية بمناجمها إلى «مارتينز».

هدى: «مارتينز»؟!

أحمد: بالطبع ... إن المركز الذري الذي يموله اتحاد العصابات يحتاج إلى مواد مشعة لإجراء التجارب الذرية. وبالطبع فإن المواد الذرية كلها تخضع في كل دولة إلى رقابة مشددة، ولا يمكن إخراجها من دولة إلى أخرى إلا بإجراءات أمن قاسية ... والحل الوحيد أمام «مارتينز» ورجاله هو تهريبها عبر الحدود ... وليس أفضل من «شيلي» موردًا، ومن السَّهل تهريبها عبر الصَّحراء مع أمثال هؤلاء الرجال.

بدأ الشَّياطين الخمسة استعداداتهم للرحيل، ولم تمضِ ساعة حتى كانوا قد امتطوا صهوات جيادهم، ووضعوا «موري» على بغل، وركب «فيجو» بغلًا آخر ... وعندما أشار «أحمد» بيده استعدادًا لبدء الرحلة، كان الرجل الخامس قد أفاق، وأخذ ينظر حوله في ذهول، ثم تبادل مع الجرحى الأربعة حديثًا سريعًا ... وعندما استدارت الخيول للرحيل سمع الشَّياطين صوت أحد الرجال يناديهم ...

استدار «أحمد» و«عثمان»، واتجها إلى الرجال الخمسة، وسرعان ما وقفا أمامهم. وقال الرجل الخامس الذي بدا واضحًا أنه زعيم المجموعة: هل ستتركوننا هنا؟!

أحمد: بالطبع؛ إن هذا أقل ما يجب أن يحيق بكم.

الرجل: ولكننا سنموت هكذا!

أحمد: لقد عرضت على زملائك أن نفكَّ وثاقكم، ونعطيكم بعض الطعام والماء، مقابل أن تخبرونا عن الشحنة، وإلى أي جهة أنتم ذاهبون بها؟

تململ الرجل في مكانه قليلًا، وعندما لاحظ علامات التصميم على وجه «أحمد» قال: هذه شحنة من المواد المشعة، مرسلة إلى السنيور «مارتينز» ...

تبادل «أحمد» و«عثمان» النظرات ... لقد كانت استنتاجات «أحمد» صحيحة ... وقال «أحمد»: إنك لم تكذب. وسوف أفي بوعدي معكم!

نزل «أحمد»، ثم أخرج خنجره، وفكَّ وثاق الرجال بعد أن جردهم من أسلحتهم، بينما أسرع «عثمان» يحضر لهم بعض الطعام والماء ... وسأل الرجل: ولكن كيف سنتحرك من هذا المكان؟

أحمد: هذه مشكلتكم أنتم ... وعلى كل حال هناك زميلان لكم قد فرَّا، وأعتقد أنهما سوف يعودان، وسوف تتعاونون على العودة إلى بلادكم.

قال أحد الرجال الأربعة: لا تدعني أقابلك بعد ما حدث أيها الشَّاب.

نظر إليه «أحمد» طويلًا، ثم قال: إنك تهددني! ... لا بأس، ولا تدعني أراك مرة أخرى!... لقد أبقيتُ على حياتك، وفي إمكاني أن أنهيها الآن بطلقة واحدة، بل يكفي أن أتركك تموت جوعًا وعطشًا، ولكني وعدت بإطلاق سراحكم، وقد وفيت بما وعدت.

واستدار «أحمد» و«عثمان» ... وسرعان ما بدأت القافلة سيرها، بإرشاد «موري» الذي كان يركب بغلة يقودها «عثمان»، وهو على حصانه ... كان «موري» قد اختار أن يسيروا على حافة الصَّحراء والمراعي، حتى يمكنهم الاختفاء بين الأشجار والأعشاب إذا تعرضوا لأي هجوم ...

قال «عثمان» يسأله: كم هي مسافة الرحلة إلى القرية؟

رد «موري»: قد نصل إليها عند الغروب إذا سرتم بسرعة معقولة ... وأرجو ألا نلقى استقبالًا سيئًا، فهي قرية تتعامل مع عصابات التهريب ويسودها العنف والقتل.

في قرية الأشرار

استمرت القافلة تسير نحو خمس ساعات، عندما رفع «أحمد» يده وطلب التوقف، ثم أشار إلى مكان بين الأعشاب العالية، يبدو كمخبأ طبيعي ... وسرعان ما توقف الجميع، وقال «أحمد»: سندفن صناديق المواد المشعة هنا ... إنه مكان ممتاز، ومن السَّهل تمييزه إذا احتجنا للعودة إلى هذه الصَّناديق.

نزل الشَّياطين، ونزل «فيجو» أيضًا، وأخذوا يحملون الصَّناديق الثقيلة إلى المكان الذي أشار إليه «أحمد» ... ثم انهمك الجميع في حفر أربع فجوات ضخمة في الرمال بجوار الصُّخور، وسرعان ما أخفوا الصَّناديق فيها ثم أهالوا عليها الرمال، وأحضر «فيجو» قطعة من أغصان الشَّجر وأخذ يمر بها على الرمال، حتى استعادت مظهرها الطبيعي، وحتى بدا المكان كأن لم يكن فيه حُفر على الإطلاق.

قالت «إلهام»: لننتهز الفرصة ونتناول بعض الطعام والشَّراب، بدلًا من التوقف من جديد!

وافق الجميع بحماس على اقتراح «إلهام»، وسرعان ما كانوا يتناولون بعض «الشَّطائر» والماء، واشترك «موري» معهم، وكانوا قد نقلوه إلى ظل شجرة؛ لينال قسطًا من الراحة ... وبعد أن تمددوا جميعًا على الأرض نحو نصف ساعة، عادوا فقفزوا على ظهور خيولهم وبغالهم، وانطلقت القافلة من جديد.

كانت العاصفة قد جُن جنونها، ورغم أنهم كانوا يسيرون في ظل الأعشاب والأشجار، إلا أن الرمال كانت تلسع وجوههم وأيديهم ... وبدأت الجياد تصهل معلنةً عن ضيقها بهذه الرمال السَّافية. ولكنهم رغم كل هذا مضوا يُغِذُّون السَّير، ومالت الشَّمس للمغيب، وأخذ الظلام يزحف على الصَّحراء الواسعة.

وتحدث «فيجو» إلى «موري» متسائلًا: متى نصل إلى القرية؟

قال الرجل الجريح، بصوت واهن: ربما بعد ساعة ... إننا نسير بسرعة بسيطة؛ لأن الرمال تعاكسنا ...

أسرع «فيجو» يبلغ «أحمد» بالحديث، فقال: لا بأس ... إننا نستطيع الاحتمال ساعة أخرى ...

وقد صدق تقدير «موري»، فلم تمضِ ساعة حتى بدت أضواء قرية من بعيد. وأحس الجميع بارتياح، رغم أنهم كانوا يدركون أنهم مقبلون على قرية صناعتها العنف والقسوة.

بعد ساعة تقريبًا هبط الظلام تمامًا، وأخذت القافلة المجهدة تدخل حدود القرية ... كانت الشَّوارع خالية، والبيوت الخشبية على الجانبين مضاءة. واتجهوا ناحية فندق قديم كانت تقف أمامه بعض الخيول.

نزل الشَّياطين الخمسة، ثم ساعدوا «موري» على النزول، وفتح «أحمد» باب الفندق ودخل ... كانت هناك صالة واسعة بها بضع موائد، بعضها مشغول برجال يشربون ويلعبون الورق، وعلى مكتب صغير في جانب الصَّالة جلس كاتب الفندق يقرأ في كتاب قديم. اتجه «أحمد» إليه وقال: نريد ثلاث غرف لهذه الليلة ...

رفع كاتب الفندق الشَّاب نظره إلى «أحمد» وقال: الدفع مقدمًا.

أحنى «أحمد» رأسه، ووضع يده في جيبه على الفور، وقال الكاتب: ألف وستمائة بيزيتا يا سنيور ...

أخرج «أحمد» من جيبه كمية ضخمة من النقود ودفع المبلغ المطلوب. وكان هذا خطأ لم يلتفت إليه، ففي أحد جوانب الصَّالة كان ثمة ثلاثة رجال تبدو عليهم علامات الشَّر، فما كادوا يلمحون النقود في يد «أحمد» حتى تبادلوا النظرات، ثم الهمسات ...

دفع «أحمد» المطلوب، ثم خرج واستدعى بقية الشَّياطين، وحملوا «موري» ... وعندما دخلوا اتجهت إليهم كل الأنظار، وخاصةً للفتاتين، وصعدوا إلى غرفهم، فخصصوا لـ «موري» و«فيجو» غرفة. ولـ «إلهام» و«هدى» غرفة ولـ «أحمد» و«قيس» و«عثمان» غرفة.

وبعد أن استقروا، نزل «أحمد» إلى كاتب الفندق، وطلب منه استدعاء طبيب على وجه السرعة.

نظر إليه الكاتب في جمود، وقال: إن الطبيب الوحيد في القرية لا يستطيع مغادرة مكانه، وإنه رجل عجوز، ولا بد من سيارة لنقله ...

أحمد: وأين أستطيع استئجار أو شراء سيارة؟

اتسعت عينا الكاتب وهو يقول: تريد شراء سيارة يا سنيور؟!

أحمد: نعم!

استغرق الكاتب في التفكير لحظات، ثم قال: كما أن هناك طبيبًا واحدًا في القرية. فليس بها إلا سيارة واحدة ...!

انقبض قلب «أحمد»، ولكنه قال: وهل هي للبيع؟

جاء الرد هذه المرة من خلف «أحمد»، فقد سمع من يقول: نعم ... إنها للبيع يا سنيور ...

لاحظ «أحمد» رد الفعل على الكاتب ... وأدرك أن محدثه شخص مرهوب الجانب ... فالتفت إليه بهدوء وقال: سيسرني أن أراها.

ونظر «أحمد» إلى المتحدث، الذي وقف واضعًا يديه في وسطه، وحوله وقف شخصان آخران يلمع في عيونها التحدي ... قال «أحمد» بهدوء مرة أخرى: أين هي السَّيارة؟

قال الرجل: في مكان قريب، تعال معنا!

فكر «أحمد» لحظات، وأحس أن الأمور لا تسير على ما يرام، وأن ذهابه مع هؤلاء الثلاثة ليس بالقرار الحكيم، فقال: ألا يمكن إحضارها هنا؟

فقال الرجل: هل تسخر منا أيها الصَّبي؟

أدرك «أحمد» على الفور أنهم يريدون الاشتباك معه. وأنهم يعرفون أن معه كمية كبيرة من النقود، فظلَّ ملتزمًا الهدوء وقال: مطلقًا يا سنيور! لماذا أسخر منك؟! إذا كانت السَّيارة قادرة على السَّير؛ ففي إمكانكم إحضارها أمام الفندق، فإنني أريد إحضار الطبيب لصديق جريح ...

زاد الرجل من لهجة الاستهانة والتحدي، وقال: إن الذي يريد أن يشتري شيئًا ينتقل إليه ... ولكن لا يُنقَل الشَّيء إلى المشتري!

لمح «أحمد» على أعلى السلم «عثمان» نازلًا، ووجد أن الأوان قد آن لإيقاف هؤلاء الأشرار الثلاثة عند حدهم، فقال ملتزمًا الهدوء: لا بأس يا سنيور ... لا داعي مطلقًا لشراء السَّيارة، سوف أبحث عن سيارة أخرى! ...

قال الرجل وهو يمد يده، يخبط صدر «أحمد»: لقد ضيعت وقتنا أيها الصَّبي ... إن للوقت ثمنًا في هذا العالَم!

قال «أحمد»: إنني أشكُّ في أن لوقتك أية قيمة يا سنيور!

وكما توقع «أحمد» تمامًا، رفع الرجل يده في ضربة قوية، وجهها إلى «أحمد»، الذي اكتفى بأن هز رأسه فطاشت الضربة، فانحرف الرجل بشدة، وببساطة شديدة سحبه «أحمد» من ذراعيه، وأكمل اندفاعه القوي، حتى ارتطم بخشب البار، وسقط! ... وهنا

هجم الرجلان الآخران على «أحمد»، ولكن بضربة قوية جعلت أحدهما يتلوى على الأرض ... وفي نفس اللحظة كان «عثمان» قد قفز إلى ميدان المعركة، وجذب ذراع الرجل الثالث، فلما استدار إليه، وجه إليه ضربة رائعة جعلته يدور حول نفسه، ثم يسقط على وجهه! ...

أخذ الحاضرون ينظرون إلى ما يحدث وقد فتحوا أفواههم دهشةً ... ففي لحظات انطرح الرجال الثلاثة كأنما داستهم سيارة مسرعة! ... وبدا الاحترام على وجه الجالسِين جميعًا. وقال «أحمد» موجهًا حديثه للكاتب: أريد الطبيب والسَّيارة! ...

وبلل الكاتب المذعور شفتيه، وقال: سأرسل في طلب الطبيب فورًا يا سنيور، أما السَّيارة فعند السنيور «مانويل»، وهو يسكن في المنزل المجاور للفندق! ...

تطوع أحد الواقفين فقال: سأحضر لك السنيور «مانويل» فورًا! ...

وجلس «أحمد» و«عثمان» يتحدثان ... بينما قام الرجال الثَّلاثة، وفي عيونهم علامات الشَّر والضيق، انسحبوا واحدًا وراء الآخر في مذلة ... وبعد لحظات حضر «مانويل»، واتجه إلى حيث جلس «أحمد» و«عثمان»، وقال: لقد سمعت أنكما تريدان شراء سيارة ... إن سيارتي هي الوحيدة في هذه الأنحاء ولا بد أن تدفعوا مبلغًا كبيرًا ثمنًا لها ...

قال «أحمد»: سندفع ما تساويه السَّيارة يا سنيور «مانويل»، ولكننا لا نبعثر نقودنا كما تصور بعض الناس هنا! ...

ونظر «أحمد» حوله، وفتح الباب في هذه اللحظة، وظهر رجل عجوز يحمل حقيبة صغيرة، وعرف فيه «أحمد» الطبيب، فقال لـ «عثمان»: اصعد معه إلى «موري»، وسأبقى للحديث مع السنيور «مانويل»! ...

ثم التفت «أحمد» قائلًا: ما هو نوع السَّيارة، وسنة إنتاجها يا سنيور؟ ...

رد «مانويل»: إنها من طراز «فورد»، موديل ١٩٤٨! ...

صفَّر «أحمد» بشفتيه ... «فورد» قديمة، والمسافة بينهم وبين «بيونس آيرس» جبلية وبعيدة ... ولكن لم يكن هناك مفر، فقال لـ «مانويل»: هل هي جاهزة؟ ...

رد «مانويل»: إن كنت ستشتريها، فسأقوم بإعدادها الليلة ...

أحمد: فليكن هذا يا سنيور ... وماذا تطلب ثمنًا لها؟ ...

أخذ «مانويل» يفكر، لقد سمع من الناس أن هذا الشَّاب يحمل نقودًا كثيرة، وهذه هي فرصته لبيع سيارته بمبلغ يؤمِّن له حياته، وأخذ يبلل شفتيه بلسانه ... وفي هذه اللحظة ظهر «عثمان»، واقترب من «أحمد» وهمس في أذنه قائلًا: لن يستطيع «موري» السَّفر معنا ... لقد أشار الطبيب عليه بالراحة لفترة لا تقل عن أسبوعين قبل أن يتحرك! ...

قال «أحمد»: الحمد لله، فلم يكن في استطاعتنا أن نأخذه معنا ... فالسَّيارة لن تتسع إلا لنا فقط! ...

عثمان: لقد قرر «فيجو» أن يبقى بجواره! ...

أحمد: عظيم ... سندفع لهما مبلغًا طيبًا، وسوف نرى كيف نلتقي بهما مرة أخرى!

عثمان: إن «فيجو» لن يستطيع العودة إلى كوخه بجوار أراضي «مارتينز»؛ فقد عرفوا بالطبع أنه ساعدنا، ولن يتركوه حيًّا إذا عاد! ...

أحمد: ليبقَ إذن مع «موري»؛ حتى نرى كيف يمكننا مساعدته!

ثم التفت إلى «مانويل» قائلًا: والآن يا سنيور «مانويل»، ماذا قلت؟

رد «مانويل»: إنني أطلب خمسين ألف بيزيتا!

وحسبها «أحمد» سريعًا، ووجد أن المبلغ ليس كبيرًا كما تصور «مانويل» فقال: اتفقنا يا سنيور ... أريد السَّيارة جاهزة في السَّادسة صباحًا ...

مد «مانويل» يده إلى «أحمد» فوضع فيها عشرة آلاف بيزيتا، وقال: هذا المبلغ لإعداد السَّيارة ... وسأدفع لك الباقي عندما أجد السَّيارة دائرة أمام الباب.

وعندما قام «مانويل» منصرفًا، قال له «أحمد» محذرًا: سنيور «مانويل»، ... إنك تعرف أن من يحاول العبث بنا يلقى جزاءه سريعًا! ...

وأحنى «مانويل» رأسه ومضى، ... وقام «أحمد» إلى صالة الطعام حيث اجتمع الشَّياطين و«فيجو»، وتناولوا عشاءً من لحم البقر والسلطات الخضراء ... وبعد مناقشة استمرت نحو ساعة، أسرعوا إلى الطابق الثَّاني، وبعد أن اطمأنوا على «موري» استلقى كل منهم في فراشه، واستسلم للنوم سريعًا بعد يوم حافل بالتعب والتوتر.

وجدنا البضاعة، الأسعار مرتفعة!

في الخامسة صباحًا استيقظ الشياطينُ، وفي الدقائق التالية كانوا قد انتهوا من الاستعداد للرحلة. وجاءت لحظة فراقهم للصديقين «فيجو» العجوز و«موري» الجريح، وكان وداعًا مؤثِّرًا؛ فقد كان لهذين الرجلين فضلُ إنقاذهم من براثن «مارتينز»، ووضع «أحمد» في يد «فيجو» مظروفًا متخمًا بالمال، ثم نزل الشَّياطين عندما سمعوا صوت السَّيارة العجوز تقف بالباب، وقد ارتفع كالرعد صوت محركها القديم.

نزل الشَّياطين، وكانت القرية لا تزال نائمة، حتى «مانويل» اكتفى بوضع روب فوق ملابس النوم، ووقف فخورًا بجوار العربة الدائرة ... وعندما وقعت عينا «أحمد» على السَّيارة الرمادية، أحس بنوع من الشَّفقة عليها، ففي الأغلب ستكون هذه آخر رحلاتها، فلن يستطيع محركها القديم، ولا هيكلها المتداعي احتمال مجهود آخر ... وقالت «هدى»: لا أظن أن هذه السَّيارة يمكن أن تصل إلى «بيونس آيرس»!

رد «أحمد» مبتسمًا: من الذي قال لك إنها ستذهب إلى هناك؟ ... إننا سوف نتركها في أقرب مدينة نجد فيها سيارة أقوى ... إنها فقط ستخرجنا من قرية الأشرار هذه.

وضع الشَّياطين حاجياتهم في السَّيارة ثم قفز «عثمان» إلى عجلة القيادة، ووقف «أحمد» يضع بقية المال في يد «مانويل» الذي ابتسم في شراهة، ثم مدَّ يده في جيب الروب وقال: سأعطيك هدية مجانية!

ووضع في يد «أحمد» خريطة قديمة للطرق في الأرجنتين، ثم قال: بدون هذه لم تكن لتذهب بعيدًا! ...

وشكره «أحمد»، ثم قفز إلى جانب «عثمان».

وانطلقت السَّيارة تكركر على الطريق نصف الممهد، ورفعوا أيديهم بالتحية لـ «مانويل» الذي وقف وحده في ساحة القرية يعد النقود دون أن يلتفت للتحية.

قال «عثمان» وهو يضغط على بدَّال البنزين: لا بأس بها. إن هذا النوع من السَّيارات يتحمل كثيرًا ... وما زال المحرك قادرًا على العمل الشَّاق.

أحمد: ذكرتني هذه الليلة، بالأحداث التي تجري بأفلام رعاة البقر ... وقد تمنيت حقيقةً أن أبقى فترة أخرى!

ساد الصَّمت، ثم قالت «إلهام»: هل سنشاهد الفيلم في المدينة القادمة، أم سننتظر حتى نصل إلى «بيونس آيرس»؟

ردَّ «أحمد»: ولماذا الانتظار؟ ... إن كل ساعة تمضي تُقرِّبُنا من الفشل ...

ومضت السَّيارة بسرعة متوسطة ... وبدأ الصَّباح يغزو الأفق، وظهرت التلال الحمراء، بين الأعشاب الخضراء، وأحسَّ الجميع براحة النفس التي يشعر بها كل محب للطبيعة.

استمروا دون توقف، وعيْنُ «عثمان» على مؤشر البنزين ... كانت كميته كافية لقطع نحو مائتي كيلومتر، وكانت أقرب مدينة على أبعد من هذه المسافة بقليل ... وفكَّر «عثمان» أنه إذا فرغ البنزين فستصبح كارثة، ولكنَّه لم يرد أن ينقل شعوره بالقلق إلى الآخرين.

بعد حوالي ساعتين صعدوا تلًّا، وعندما هبطوا على الجانب الآخر ظهرت من بعيد ملامحُ مدينةٍ، وأحسَّ «عثمان» بالاطمئنان ... وسرعان ما ضغط على بدَّال البنزين، انطلقت السَّيارة ترعد على الطريق، حتى دخلوا الطريق الرئيسي، وبدأت الحياة النشطة تحيط بهم ... وعندما شاهد «أحمد» السَّيارات الحديثة تقطع الشَّوارع، أحسَّ بالراحة ... وعند أول استراحة توقفوا وتناولوا بعض المشروبات، وتبادل «أحمد» مع البائع أطراف الحديث، وعرف منه طريق محل لبيع آلات العرض ... ولم تمضِ ساعة، حتى كان الشَّياطين يجلسون في غرفة واسعة بأحد الفنادق، وقامت «هدى» بتجهيز آلة العرض.

جلس الشَّياطين، وقد بدا الاهتمام واضحًا على وجوههم جميعًا. فها هو أخيرًا الفيلم الذي فعلوا المستحيلات، وخاضوا المغامرات من أجله ... ها هو أخيرًا مفتاح لغز العلماء المختطفين، والمركز الذري! ...

وأطفأ «قيس» الأنوار، ودار الفيلم ... وكانت الصُّور الأولى عليها بعض كلمات، ثم خريطة توضح مكان المركز. ثم بدأ الفيلم ذاته، فاستعرض المركز الذري، كان مشيدًا في شكل مبانٍ مستطيلة مجمعًا، وفي الوسط كان ثمة مبنًى ضخمٌ لا شك أنه المعمل، وكانت هناك بياناتٌ تظهر في شكل سطور وأرقام على بعض المباني، ثم دخلت الكاميرا المعمل ذاته، وظهر أحد العلماء أمام سبورة سوداء، وأخذ يشرح العمليات التي يقومون بها ... ولاحظ الشَّياطين على الفور أن العالِم كان يلبس قناعًا، ومن الواضح أن العصابة كانت

حريصة في هذا المركز السِّري، أن تخفي حقيقة العلماء الذين يعملون فيه. ظل العالِم يشرح بسرعة بعض النتائج التي حصلوا عليها ... ثم اختفى، وحلت بعده مجموعة من الصُّور لانفجارات صغيرة صدرت من خلف طاقة زجاجية من نوع خاص ... وانتهى الفيلم وقد بُهر الشَّياطين بالمعلومات الدقيقة التي حصلوا عليها ... وقال «أحمد» معلقًا عند نهاية الفيلم: لم أكن أحلم بكل هذا! ... سنحتاج إلى إعادة عرض الفيلم بضع مرات بالسُّرعة البطيئة، لنحدد مكان المركز بالضبط، ونوع الحراسة المقامة عليه.

وأعادت «هدى» عرض الفيلم بالسُّرعة البطيئة، وأخذ كل واحد من الشَّياطين يدوِّن المعلومات التي يراها، وأهمها خطوط الطول والعرض للمنطقة القطبية التي أقيم عليها المركز. وكانت الخريطة الرئيسية توضح دائرة القطب الجنوبي في شكل دائرة، تخرج منها خطوط الطول والعرض فتشبه بيت العنكبوت ...

ورسمت «هدى» خريطة سريعة مثل التي على الشَّاشة. وكانت هناك ثلاثة خطوط توضح المسافة إلى نقطة إقامة المركز. خط رأسي من «هورن»، وخط «كيبتون» وخط من «ملبورن» – ثلاثة خطوط مستقيمة. ثم خط رابع متعرج من بحر «روسي» الثَّلجي، في الدائرة القطبية إلى جزر «فولك لاند»، وطوله ٣٠٠٠ كيلومتر تقريبًا.

قال «أحمد»: إن نقطة إقامة المركز على بحر «روسي» الثَّلجي، يعني أن بعض التجارب تتم في البحر!

هدى: إنه بحر متجمد طوال الشِّتاء فلا بد أن التجارب تتم في الصَّيف.

أحمد: إننا ما زلنا في بداية الشِّتاء ...

هدى: إنَّ وصولنا إلى هذه النقطة التي أُقيم عندها المركز، ضَربٌ من المستحيل، فالقارة القطبية الجنوبية هي أقصى بقعة على وجه الأرض ... وهي درع سميك محدب من الصَّخر والجليد، اتساعه ١٣ مليون كيلومتر مربع، وتنعدم الحياة في ٩٩٪ من مساحتها!

ونظر الجميع إلى «هدى» التي اشتُهرت بمعرفتها الفذة بالجغرافيا، فمضت تقول: في وسط القارة القطبية الجنوبية كما تحددها خرائط الجغرافيا، وهي الدائرة التي يحيط بها خط عرض ١٠٠، والمركز مقام على خط العرض ٨٠ ...

أحمد: وما هي درجة الحرارة هناك؟

هدى: إنَّها تصل في الشِّتاء إلى ٨٥ درجة مئوية تحت الصَّفر. ولم يسبق لمخلوق حي أن عاش في هذا الجو!

أحمد: إذن فمن المؤكد أن المركز الذري مكيف الهواء. ولا بد من أنه يعمل بالطاقة النووية!

قالت «إلهام»: إن المسألة التي يجب دراستها الآن هي كيفية الوصول إلى هذا المكان.

قيس: ليس إلا بالطائرة ... ولا بد أن تكون هذه الطائرة مزودة بزحافات يمكن أن تنزل بها على الثَّلج!

أحمد: مثل الطائرة التي تحطمت عند جزر «فولك لاند»؟!

قيس: بالضبط.

هدى: وكيف نحصل على مثل هذه الطائرة؟!

أحمد: بالطبع من الصَّعب الاعتماد على أنفسنا، لا بد من مساعدة رقم «صفر».

إلهام: لا بد أن يتم هذا بشكل عاجل، إن «مارتينز» لن يقف مكتوف اليدين، ولا بدَّ أنَّه تحرك الآن لمطاردتنا، وربما يسرع بإرسال حراسة مشددة إلى المركز الذري!

عثمان: إذن يجب ألا نضيع وقتًا أكثر، ولنبحث عن سيارة قوية تستطيع أن تحملنا إلى «بيونس آيرس»!

أحمد: فلتنزل «إلهام» و«قيس» للبحث عن سيارة.

قيس (مبتسمًا): وماذا سنفعل بالسَّيارة القديمة؟

أحمد: سنتركها هدية لمن يجدها!

وأسرعت «إلهام» و«قيس» بالنزول إلى الشَّارع، وسارا معًا وسألا عن أقرب معرض للسيارات في المدينة، وسرعان ما كانا يقفان أمام واجهة معرض حافل بمختلف أنواع السَّيارات الحديثة ... وأشارت «إلهام» إلى سيارة «لنكولن» قوية وقالت لـ «قيس»: ما رأيك فيها؟ ...

إنها ذات ستة سلندرات، وستحملنا كالريح إلى «بيونس آيرس».

أحنى «قيس» رأسه موافقًا، ودخلا معًا إلى المعرض، ولم تمضِ ساعة حتى كان «قيس» يقود «اللنكولن» الزرقاء إلى حيث كان بقية الشَّياطين في الانتظار، وفي اللحظات التالية تم نقل كل الأشياء التي كانت بالسَّيارة القديمة إلى السَّيارة الجديدة.

وتولى «قيس» قيادتها عبر شوارع المدينة الهادئة، حتى وصل إلى الطريق العام فأطلق لها العنان، وأدار الراديو فانطلقت موسيقى خفيفة استسلم لنغماتها الشَّياطين، بينما أخذ مؤشر السرعة يتزايد تدريجيًّا.

بعد ساعات، وعندما بدأ الظلام يغزو الأفق، كانت أضواء مدينة «بيونس آيرس» الضخمة تلمع من بعيد ...

وبدد «أحمد» الصَّمت الذي ران طويلًا على راكبي السَّيارة، وقال: سنذهب إلى فندق «انتركنتننتال»، فنحن في حاجة إلى راحة طويلة، وإلى أجهزة اتصال قوية، لترسل برقية الشَّفرة إلى رقم «صفر»!

هدى: أي نوع من الشَّفرة سنستخدم؟

أحمد: بالطبع لن نستخدم شفرة بالأرقام أو الحروف، فيجب أن تكون شفرة على شكل برقية، كأننا نطلب إرسال بضاعة عادية، وسنرسل البرقية على عنوان مركز «القاهرة»؛ ليقوم بتحويلها إلى «ش. ك. س». دخلت السَّيارة إلى شوارع «بيونس آيرس» المزدحمة وقد أضاءت كل أنوارها، وبعد أن سأل «قيس» بعض الأشخاص، أخذ طريقه إلى فندق «انتركنتننتال». وسرعان ما كانوا يحتلون ثلاث غرف متجاورة في الفندق الكبير ... وجلست «إلهام» و«أحمد» يكتبان البرقية لرقم «صفر»، وكانت تبدو فعلًا كأنها برقية رجل أعمال يطلب بضاعة، وكان نص البرقية: «عثرنا على البضاعة المطلوبة، وعرفنا أسعارها تمامًا، وهي أسعار عالية جدًّا ... ولكننا نستطيع دفعها. لا يمكن نقل البضاعة إلا بطائرة مزودة بأجهزة خاصة بالمناطق القطبية ... هل يمكن إرسال هذه الطائرة في وقت قريب؟»

أخذ «أحمد» البرقية إلى مكتب البريد الملحق بالفندق، وفي خلال السَّاعات التالية كانت أجهزة اللاسلكي تحمل البرقية الشَّفرية من «بيونس آيرس» إلى مركز القاهرة، ثم إلى رقم «صفر».

فرقعة في القطب الجنوبي!

قضى الشَّياطين الخمسة ليلة هادئة بعد أن أرسلوا البرقية الشَّفرية، وعندما أقبل الصَّباح لم يتحركوا من الفندق؛ فقد كان احتمال أن يراهم أحد أعوان «مارتينز» احتمالًا قويًّا ... واكتفوا بالجلوس في شرفة الفندق الواسعة، والاستمتاع بالراحة، وفي المساء وردت برقية رقم «صفر» ...

الثَّلاجة المطلوبة جاهزة ... تصل في الصَّباح الباكر إلى مطار «بيونس آيرس» الدولي ... ستحملها طائرة من طراز «دوجلاس» يمكن الاعتماد على الطيارين. إذا لزم الأمر؛ أرسلوا تأكيدًا قبل السَّفر. الطائرة مزودة بالأوراق اللازمة للسفر إلى أي مكان، مع أمنياتي بالتوفيق.

وكان للبرقية وقعها المثير على الشَّياطين الخمسة. وسرعان ما اجتمعوا لتقرير الموقف ووضع الخطط اللازمة، وسرعان ما اتفقوا على أن يقوموا هم بقيادة الطائرة، على أن يرسلوا مع الطيارين القادمين، رسالة مطولة إلى رقم «صفر»، والشَّريط المسجل عليه فيلم المركز الذري؛ فقد يحتاجه رقم «صفر». ومن المؤكد أنه سيحتاجه إذا شاء أن تتدخل الدول المعنية في الموضوع، وكذلك لتحديد مكانهم إذا حدث لهم مكروه ... وقضى الشَّياطين ساعات طويلة في كتابة تقرير إلى رقم «صفر» شرحوا فيه كل ما حدث.

وفي الصَّباح الباكر دفعوا حسابات الفندق واستقلُّوا السَّيارة إلى المطار، وقد وصلوا في الوقت المناسب؛ فقد أشار «عثمان» إلى طائرة زرقاء صغيرة تدور لتقف على أرض المطار ... كانت من طراز «دوجلاس».

نزل ثلاثة طيارين شبَّان، وقدَّموا الأوراق اللازمة إلى هيئة المطار، فتقدَّم الشَّياطين الخمسة وقدَّموا أنفسهم للطيارين الثَّلاثة، فأعطوهم الأوراق اللازمة بملكية الطائرة

والسَّماح لها بالطيران فوق مختلف البلاد ... وأعطاهم «أحمد» التقرير الذي أعدُّوه، والفيلم، ثم تبادلوا التحيات، وقفز الخمسة إلى الطائرة التي كانت تتزود بالوقود، وقام «أحمد» بالكشف على أجهزتها المختلفة، واطمأن على خزانات الوقود الإضافية، بينما قامت «إلهام» و«هدى» بالتأكد من كميات الطعام وأجهزة النزول على الجليد والزحافات وغيرها ...

كان رقم «صفر» قد أعدَّ كل شيء ببراعة حقًّا، وفي سرعة مذهلة، ووجد الشَّياطين أكثر من عشرين صنفًا من الأدوات والمهمات لم يفكروا فيها ... أجهزة تدفئة تعمل في الجو المثلج ... ملابس مكيَّفة ... نظارات ملونة حتى لا يُصابوا بعمى الجليد ... أنواع من الأطعمة الدسمة تساعد على احتمال البرد!

ونزل الشَّياطين وذهبوا إلى «البوفيه»، وقضوا هناك ساعتين حتى تهدأ ماكينات الطائرة وتبرد ... وحددوا ثلاثة مطارات يهبطون فيها ويتزودون بالوقود قبل القفزة الأخيرة إلى القطب.

في تمام السَّاعة العاشرة، كان «أحمد»، و«عثمان» يبدآن في إدارة المحركات النفاثة الأربعة في الطائرة الدوجلاس ... كانت طائرة صغيرة، تتسع بالإضافة إلى طاقم الطائرة لتسعة أشخاص، وقد تم تركيب أجهزة انزلاق على الجليد بجوار العجلات تنزل أوتوماتيكيًّا عند الحاجة إلى استعمالها ...

وبعد نحو عشرين دقيقة أخذت الطائرة الصَّغيرة القوية تجري فوق ممر المطار، وأخذ «أحمد» يتلقَّى التعليمات من البرج، وسرعان ما ارتفعت الطائرة في الجو، وأخذ «أحمد» اتجاهًا جنوبيًّا شرقيًّا ... وأخذت الطائرة تصعد وتصعد، حتى وصلت إلى ارتفاع ١٨ ألف قدم، ثم مضت قُدمًا، وأدار «عثمان» جهاز الراديو فانطلقت موسيقى مرحة في قلب الطائرة!

مضت ساعة هادئة، قبل أن يعلن «أحمد» للركاب الثَّلاثة «قيس» و«إلهام» و«هدى» قرب نزولهم في أول مطار، بعد عشر دقائق. وفي الموعد بالضبط كانت الطائرة تدرج هابطة، وأمضوا ساعة في المطار تزودوا فيها بالوقود ... ثم عادت الطائرة إلى الجو، وبعد ساعة أخرى نزلت. وتكرر ذلك للمرة الثَّالثة ... ثم جاءت اللحظات التي تنتهي فيها علاقتهم بالأرض التي يعرفونها ... فقد آن الأوان للقفزة الأخيرة إلى القطب ... وقام الخمسة بمراقبة كل شيء قبل أن تجري الطائرة لآخر مرة على أسفلت المطار الأسود، ثم تمضي مسرعة إلى الفضاء.

وحدد «أحمد» الرحلة قائلًا: أمامنا نحو ثلاثة آلاف كيلومتر، ستقطعها الطائرة في نحو ساعتين، وسننزل في مطار أعدته بعثة أمريكية بقيادة «ماكمورو ساوند» عام ١٩٥٦، وأرجو أن تكون أرض المطار ما زالت صالحة للهبوط …

قالت «إلهام» معلقة: ما دام هو المطار الوحيد في القطب الجنوبي، فمن المؤكد أنه صالح للاستخدام؛ فإن جماعة «مارتينز» لا بد وأنها تعتمد عليه!

أحمد: ما لم يكونوا قد أعدوا مطارًا خاصًّا بهم!

وساد الصَّمت، ومضت الطائرة محلقةً فوق جنوب المحيط الأطلسي، وأخذ كل شيء يفقد لونه، ويزحف اللون الأبيض … ومضت الطائرة دون عوائق تقطع المسافة الهائلة بين الأرض المعمورة والصَّحراء الثَّلجية في القطب الجنوبي.

بعد نحو ساعة ونصف من الطيران الهادئ، بدأت الطائرة تفقد اتزانها؛ فقد دخلت في «مطب» هوائي، وأخذت تتأرجح يمينًا ويسارًا، وإلى فوق وتحت. و«أحمد» و«عثمان» يحاولان الخروج من المطب بسرعة، ونزلا بالطائرة إلى ارتفاع ١٠ آلاف قدم، وتخلصا من المطب، ومضت الطائرة، وسرعان ما أصبحوا فوق دائرة القطب تمامًا …

كانت السَّماء ملبدة بالغيوم البيضاء، وتحتهم الأرض الثَّلجية، وبدا كل شيء مغلفًا بالبياض، وقالت «إلهام»: هذه هي ظاهرة البياض الطامس. فكل شيء مغلف بغلاف سميك في قوام اللبن ومجرد من الملامح!

ردَّ «قيس»: سيكون من الصَّعب على «أحمد» الهبوط بالطائرة، فالرؤية متعذرة، ولن يجد إشارة واحدة تدله على مكان الهبوط …

وفعلًا كان «أحمد» في هذه اللحظات يحاول جاهدًا رؤية أي شيء يحدد مكان مطار «ماكمورو» لينزل فيه … وكان في إمكانه بالطبع أن يشغِّل جهاز النزول الأوتوماتيكي؛ ليهبط بالطائرة في أمان على الثَّلج، ولكن المشكلة كانت في احتمال نزولهم على منطقة هشَّة، فتتعثر الطائرة وتهبط داخل الفجوات الثَّلجية، فلا يمكن إخراجها … وكانت المشكلة الثَّانية أنه لن يستطيع أن يحلِّق طويلًا، فالوقود هو أثمن ما يملكون والكمية الباقية تكفي بالكاد للعودة … ولهذا فقد أمسك بالميكروفون، وتحدث إلى الشَّياطين الثَّلاثة: سأضطر للنزول الآن، رغم أنني لم أحدد مكان المطار … إن كمية الوقود كما توضح العدادات، تكفي بالكاد للعودة، وأي إضاعة لقطرة من الوقود تعني هلاكنا …

أنزل «أحمد» زحافات النزول الموجودة بجوار عجلات الطائرة، ثم أخذ يهبط تدريجيًّا، وسرعان ما كانت الطائرة تنزل على الجليد الناعم وتجري، وقطعت نحو ألف متر قبل أن

يحسوا بصدمة قوية، ودارت الطائرة حول نفسها، وكادت تنقلب، ولكن «أحمد» و«عثمان» تمكنا من السَّيطرة عليها، ووقفت مكانها، ولكنها كانت مائلة … ومن المؤكد أن إحدى الزحافات قد وقعت في منطقة هشة من الجليد.

توقفت محركات الطائرة بعد لحظات، وأخذ الجميع يرتدون الثياب الجلدية الثَّقيلة المبطَّنة بالفرو، ثم فتحوا الباب … كان الجو ساكنًا تكسوه غلالة بيضاء. كانت أنفاسهم ثقيلة … وأنزلوا السُّلم وأخذوا ينزلون واحدًا وراء الآخر.

كان الجو ساكنًا، والصَّمت يلف المكان، والجليد هو الشَّيء الوحيد السَّائد إلى حيث يمتد البصر، وتحدث «أحمد» لأول مرة بعد أن وطئوا أرض القطب، وكانت أنفاسه تخرج في شكل شريط أبيض، ويمر الهواء المتجمد حول أذنيه، فيسمع صوته وقد تحول إلى عشرات من الأجراس تدق باستمرار … قال لهم: إننا نواجه ظروفًا لم نقابلها من قبل … يجب أن نكون قريبين أحدنا من الآخر، طول الوقت … إن اختفاء أو غياب أي واحد منا يعني هلاكنا …

سألت «هدى»: كيف نبدأ؟

أحمد: سننام في الطائرة ولكن قبل كل شيء، يجب أن نخرج الزحافة التي غاصت في الجليد؛ حتى لا تغوص أكثر مما غاصت.

واتجهوا جميعًا إلى حيث غاصت الزحافة في فتحة من الجليد، وأخذ «أحمد» يجس الجليد حولها حتى عرف أن أقوى منطقة فيه خلف الزحافات مباشرةً، وكان عليهم أن يدفعوا الطائرة إلى الخلف!

وأشار لهم بما استقرَّ رأيه عليه، فأخذوا يسيرون حتى مقدمة الطائرة … وأشار «عثمان» لهم أن ينقسموا قسمين، ثم أمسكوا جميعًا بالقضبين الحديدين اللذين يحملان الزحافتين، واستجمعوا قوتهم، ثم دفعوا الطائرة إلى الخلف مع رفعها قليلًا إلى فوق. ولحسن الحظ انزلقت الطائرة عائدة إلى الخلف، واستقرت الزحافة على الجليد الصُّلب.

قال «أحمد»: لقد وُفِّقنا في أول مهمة لنا في هذا المكان … والآن سننظر في الخرائط، التي نقلناها من الفيلم.

ابتسم «قيس»، وهو يقول: إن الخرائط تقوم على إشارات موجودة، فأين هذه الإشارات التي سنهتدي بها على الأرض؟! إننا مثل مجموعة من النمل سقطت في طبق من اللبن!

ردَّ «أحمد»: معك حق … ولكن بما أن البوصلة توضح أننا عند دائرة القطب، فإننا نستطيع تحديد مكان المركز الذري في دائرة قطرها ٥٠ كيلومترًا …

عثمان: إن خمسين كيلومترًا في هذا الجو مسافة كبيرة …

أحمد: رقم «صفر» لم ينسَ هذه الحقيقة … فمعنا زحافات سريعة، وسوف نستخدمها فورًا، فإن المؤنة التي معنا لا تكفي لأكثر من سبعة أيام.

ابتسمت «إلهام» قائلة: وهل سنبقى هنا سبعة أيام؟

قال «أحمد»: من يدري؟!

وفردوا الخرائط أمامهم، ومضوا يفحصونها بدقة، كانت هناك عشرات التفاصيل التي يجب أن يهتموا بها.

فقد أوضحت الخرائط بعض البحيرات الصَّغيرة التي تتجمد مياهها في أكثر شهور العام، بحيث تصبح فخًّا لَمن يمشي عليها، وقال «أحمد»: من حُسن الحظ أننا لم ننزل بالطائرة على إحدى هذه البحيرات، وإلا لغرقنا في لحظة!

لم يكد «أحمد» ينتهي من كلامه حتى حدث شيء خطير … فقد دوَّت فرقعة ضخمة هزَّت سكون القطب … والتفت الشَّياطين جميعًا في اتجاه الفرقعة … كانت هناك على مدى الأفق كرة برتقالية اللون من اللهب ترتفع تدريجيًّا إلى فوق حتى تجاوزت حد السَّحاب … ثم أخذت تتلاشى ببطء.

وقالت «إلهام»: انفجار ذري!

أحمد: انفجار ذري نظيف، فلم تنتشر السُّحب المدمرة منه كما هي العادة، وإلا لعصفت بنا!

قال «عثمان»: لقد حددوا مكانهم بأسرع مما توقعنا!

قيس: هل سنتجه إليهم الآن؟

أحمد: لا، بل عندما يهبط الليل … فنحن لا ندري نوع الحراسة التي هناك!

دكتور «جمال زهران»

عندما هبط المساء على الأصقاع المتجمدة، بدأت خمس زحافات تتجه إلى المكان الذي وقع فيه الانفجار في الصَّباح ... كان «أحمد» يعتقد أن المركز الذري لا بد وأن يكون بعيدًا عن مكان الانفجار بمسافة كافية. ليست بعيدة جدًّا بالطبع؛ لأن الانفجار كان نظيفًا، وفي نفس الوقت يجب مراقبته ورصده، ولولا أنهم في مهمة من أخطر المهام التي قاموا بها في حياتهم؛ لأحسوا جميعًا بالسَّعادة في هذه اللحظات. والزحافات تنزلق في يسر وسهولة على البساط الأبيض الثَّلجي ...

ومضت القافلة الصَّغيرة، وكان «عثمان» يجر خلف زحافته زحافة أصغر، وضعوا عليها ما قد يحتاجونه من أسلحة ومتفجرات وغيرها من الأدوات ... ومضت نصف ساعة قبل أن يظهر في الأفق خط أحمر، بدا واضحًا وسط البياض الهائل الذي يحيط به ... وعرفوا أنه لا بد وأن يكون خط مباني المركز الذري، فليس في المنطقة كلها مبانٍ أخرى، وأشار لهم «أحمد» فانتشروا مبتعدين أحدهم عن الآخر، حتى لا يكونوا هدفًا سهلًا إذا كانت هناك حراسة يقظة، وإن كان «أحمد» قد تصور أنهم لا يمكن أن يتوقعوا هجومًا في هذا الفراغ الهائل.

اقتربوا أكثر فأكثر في شكل قوس كبير، وأخذت تفاصيل المباني تظهر. كانت مجموعة المباني المستطيلة تشبه المعسكر وتحيط بمبنى كبير يشبه القلعة، كان هو بلا شك مركز الأبحاث الذري ... وأحسَّ «أحمد» بضخامة المهمة، فكيف يمكنهم اقتحام هذا المكان بكل ما فيه من رجال وعلماء وأسلحة!

فأشار بيده عدة إشارات، وسرعان ما كان الجميع يجتمعون، وكان الظلام قد هبط فوق الأصقاع الواسعة وبدأت أنوار دقيقة كحبات اللؤلؤ تلمع على أسوار المكان ... واجتمع الخمسة، وقال «أحمد»: إن مهمتنا الأساسية الآن هي الإفراج عن العلماء المخطوفين،

خاصةً العالم المصري الدكتور «جمال زهران». وفي إمكاننا إذا نجحت المهمة الأولى أن ننسف المركز، ولكن النتائج التي ستترتب على هذا النسف لا يمكن حسابها؛ لهذا فإنني أرى الإبقاء على المركز كما هو … على أننا سوف نبلغ رقم «صفر» بكل شيء، وسنترك له حرية التصرف …

والآن سننقسم إلى ثلاث مجموعات: «عثمان» مع «هدى»، و«إلهام» مع «قيس»، وسأكون وحدي … وسندور حول المركز للبحث عن أماكن نوم العلماء، ومحاولة الاتصال بهم، وسنجتمع بعد ساعة عند البوابة الرئيسية وهي واضحة من نوع الأنوار التي عليها.

وسكت «أحمد» لحظات، ثم قال: هذه أول مهمة من نوعها في تاريخ الشَّياطين الـ ١٣. ويجب ملاحظة أن درجة الحرارة ستهبط باستمرار في الليل، ومن الضروري ألا نبقى طويلًا في الخارج … إننا يمكن أن نتجمد!

وسكت لحظات ثم أشار بيده، فانطلق الجميع في شكل ثلاثة أضلاع مثلث … اقترب «أحمد» من سور المركز وأخذ يدور حوله في هدوء. لم يكن هناك أي نوع من الحراسة، وبالطبع لم يكن أحد من سكان هذا المكان النائي يتوقع أن يأتي إنسان إلى هذه الأصقاع المتجمدة.

ووصل «أحمد» إلى سور منخفض حوله بضعة مخازن ودار حوله، ووجد نفسه مباشرةً أمام أحد الأبواب، وبسرعة أخرج بعض أدواته الدقيقة، وعلى ضوء البطارية المثبتة في حزامه، استطاع أن يفتح الباب بسرعة … ولم يكد يخطو خطوة إلى الداخل حتى فوجئ برجل يقف أمامه … وبالتأكيد لم يكن الرجل يتوقع مطلقًا أن يرى أي شخص يدخل من الباب، لهذا فقد وقف في مكانه مذهولًا وقد اتسعت عيناه … وكانت فرصة مواتية؛ فقد رفع «أحمد» يده وصوب له ضربة ساحقة، سقط على أثرها … ولكن «أحمد» لم يدعه يقع حتى لا يحدث صوتًا، فقد مدَّ ذراعيه وأخذه بين يديه، ووجد باب غرفة مفتوحًا فجرَّه إلى الداخل، وأغلق خلفه الباب.

وقف «أحمد» يلتقط أنفاسه ورأى ما حوله … كانت غرفة صغيرة للنوم عُلقت على جدرانها بعض أنواع الأسلحة والمهمات، وعرف على الفور أنها غرفة أحد الحراس، وليس من المستبعد أن تكون غرفة هذا الحارس نفسه.

جلس «أحمد» لحظات يتأمل تجهيزات الغرفة ويحدد مكانها من المبنى، ثم فتح بابًا ونظر إلى الدهليز. كان هادئًا، والإضاءة خافتة والجو دافئ، وسار «أحمد» على أطراف أصابعه … كانت الغرف على الجانبين مغلقة الأبواب، ووصل إلى قاعة كبيرة في نهاية

الدهليز وسمع أصوات أحاديث ... وانحرف جانبًا ووقف ينظر من خلال نصف الباب الزجاجي، ووجد مجموعة من الرجال يجلسون في منتصف الغرفة حول مائدة كبيرة مستديرة يتحدثون ويتناقشون، وقد وضعوا أمامهم عشرات من الخرائط والأجهزة ... وأدرك أنهم العلماء الذين يعملون في المركز الذري، ولاحظ على الفور وجهًا أسمر بين المجموعة ... ومن الصُّورة التي رآها في المقر السِّري للشياطين الـ ١٣، عرف أنه الدكتور «جمال زهران»، كان يجلس هادئًا، وقد وضع يده على جهاز صغير وأخذ يحركه ...

ولاحظ «أحمد» أن هناك رسمًا بيانيًّا ضخمًا معلقًا على الحائط، تبدو عليه عشرات من الرسومات الصَّغيرة والبيانات، وواضح أنه رسمٌ إحصائي لسلسلة التجارب التي أجراها هؤلاء العلماء، كما لاحظ عدم وجود أية حراسة من أي نوع في داخل القاعة، ومن المؤكد أن «مارتينز» لم يكن في حاجة إلى وضع حراس، فلن يفكر أحد هؤلاء العلماء في الهرب، فإلى أي مكان سيذهب؟ إنه سيموت بردًا في خلال ساعات قلائل ... وأراحته هذه الفكرة، فلا بد أن عدد الحراس في المبنى قليل جدًّا.

وقبل أن يسترسل «أحمد» في أفكاره، قام الدكتور «جمال زهران» من مكانه متجهًا إلى الباب الذي كان «أحمد» يقف خلفه ... ونظر «أحمد» حوله يبحث عن مكان قريب يختفي فيه، ولكن فكرة أخرى طرأت على ذهنه. جعلته يقف مكانه، وانفتح الباب، وخرج الدكتور المصري، وأسرع «أحمد» يضع يده على فم الدكتور «زهران» ... وهو يقول له بصوت خفيض وبسرعة: دكتور «زهران» ... إنني صديق.

أدار الدكتور وجهه إلى «أحمد»، وقد اكتست ملامحه بالدهشة ... وعاد «أحمد» يقول: إننا مجموعة من الزملاء نقوم بمهمة إنقاذك، ومن يشاء من زملائك العلماء.

ورفع «أحمد» يده ليترك للدكتور فرصة الرد ... ومضت لحظات خفق لها قلب «أحمد» ولكن جاء الرد: وأين بقية زملائك؟

أحمد: إنهم في مكان ما من هذا المبنى ... فقد توزعنا حتى تُتاح لنا فرصة أكبر.

أشار الدكتور بيده قائلًا: تعالَ معي ...

وسارا معًا عبر دهليز جانبي، ثم دفع الدكتور أحد الأبواب، ودخل ومعه «أحمد»، وقال الدكتور: هذه غرفتي.

أحمد: وكم يلزمك من الوقت لتستعد للقدوم معي؟

الدكتور: فورًا ...

ونظر «أحمد» حوله في الغرفة، بينما كان الدكتور يقوم بتغيير ثيابه ... كانت غرفة صغيرة، ولكن مفروشة بعناية ... وقال «أحمد»: هل تعتقد أن بين زملائك من يحب القدوم معنا؟

الدكتور: ثلاثة من هؤلاء العلماء مخطوفون مثلي ... والباقي يعملون مع المنظمة الإجرامية بالأجر، وهؤلاء لا قيمة لهم علميًّا!

أحمد: هل تستطيع الاتصال بالعلماء الثَّلاثة وإقناعهم بالحضور معك؟

الدكتور: أعتقد أن الخروج من المبنى في هذه السَّاعات صعب ... فهناك حراسة!

أحمد: الباب الذي دخلت منه ليس عليه الآن حرَّاس ... فالحارس الذي كان يقوم عليه يغطُّ في نوم عميق ...

الدكتور: وكيف سنهرب؟

أحمد: هناك طائرة على بعد بضعة كيلومترات ...

الدكتور: وأين الباب الذي دخلت منه؟!

أحمد: إنه في نهاية الدهليز الذي يؤدي إلى غرفة الاجتماعات!

الدكتور: إذن انتظرني هناك ...

وأسرع «أحمد» إلى باب الغرفة ليخرج، وهو لا يصدق أن مهمتهم ستنتهي بهذه السُّهولة ... ولكنه لم يكد يفتح الباب، حتى فوجئ برجلين يقفان أمامه ... وأدرك على الفور أن هناك أجهزة تنصت في الغرفة لم يتبينها الدكتور «زهران»، ولم يكن في إمكان «أحمد» أن يفعل شيئًا؛ فقد كان هناك مسدسان ضخمان موجهان إلى صدره ... ولو حاول أن يتحرك حركة واحدة لانطلق بضع رصاصات إلى صدره في ثانية واحدة!

وفتح أحد الرجلين الباب وقال للدكتور: تعالَ معنا.

وخرج الدكتور وقد بدت عليه علامات الضيق، ولكنه لم ينطق بكلمة واحدة ... وسار الأربعة في الدهليز الضيق، حتى وصلوا إلى نهايته، ثم انحرفوا يمينًا ووجد «أحمد» أنهم أمام سلَّم تنزل درجاته إلى أسفل فيما يشبه النفق، ونزلوا جميعًا حتى وصلوا إلى دهليز تحت الأرض ... ودهش «أحمد» لضخامة الاستعدادات التي أقامها «مارتينز» في هذا العالم النائي ...

ووصلوا إلى باب غرفة من الحديد، وضغط أحد الرجلين على زرٍّ على الباب، وبعد لحظات انفتح، ودخلوا. كانت ثمة قاعة مضاءة قد فُرشت كمكتب وقاعة اجتماعات، وقد عُلقت على جدرانها العشرات من الرسوم البيانية والتصميمات مثل التي شاهدها «أحمد» في غرفة العلماء.

كان رجلًا ضئيل الحجم يجلس إلى مكتب ضخم، وأمامه رجل آخر ضئيل خُيل لـ «أحمد» أنه رآه من قبل. وأشار الرجل الضئيل لهما بالجلوس، وانصرف الحارسان ... وتحدث الرجل بلغة إنجليزية سليمة: لقد استمعنا إلى المحادثة التي دارت بينكما، وقد أرسلنا بعض الرجال للاستيلاء على الطائرة ونسفها.

وسقط قلب «أحمد» في قدميه ... فقد وقعوا في مصيدة لا مثيل لها، وقُدِّر لهم أن ينتهوا إلى الأبد ... فلن يستطيعوا مغادرة هذا العالم الثَّلجي دون طائرة ...

وسوف يصل «مارتينز» سريعًا، ولن تكون هناك أية رحمة في معاملتهم!

ومضى الرجل يقول: إن الطائرة التي تُحضر المؤن ستصل في الصَّباح ... وفي الأغلب سيكون عليها بعض زعماء المنظمة، وسوف يتصرفون معكم!

فكَّر «أحمد» في الشَّياطين الأربعة ... وكان يتمنى أن يسأل أين هم؟ هل قُبض عليهم، أم ما زالوا أحرارًا؟ وكأنما استجاب الرجل الضئيل لهذا السُّؤال الذي لم ينطق به «أحمد» فقد قال: ونحن الآن نبحث عن بقية هؤلاء الأولاد، وسوف نقبض عليهم خلال دقائق قليلة ...

وأشار الرجل الضئيل إلى الرجل الجالس أمامه، فأشار الرجل إلى «أحمد» بالوقوف، فوقف، وسار أمام الرجل الذي أخرج مسدسًا أوتوماتيكيًّا، ووضعه في ظهر «أحمد» منذرًا له بألا يحاول خداعه.

الحياة تحت الصِّفر

سار «أحمد» أمام الرجل في الدهليز مرة أخرى ... لم يكن يتصور أن تنتهي المغامرة الرائعة هذه النهاية المؤسفة! القبض عليه ... الاستيلاء على الطائرة ... مطاردة زملائه الأربعة في هذه الأصقاع الباردة! ... وفي نهاية الدهليز الواقع تحت الأرض الثَّلجية، كانت هناك غرفة لها باب حديدي، مؤكدًا أنها تُستخدم كسِجن ... دفع الرجل الباب بيده اليسرى بينما يده اليمنى تضغط بالمسدس على وجه «أحمد»، ثم دفع «أحمد» إلى الداخل وأغلق الباب ... وفوجئ «أحمد» أن الغرفة ليست مكيفة الهواء كمباني المركز الذري، كانت باردة أكثر من الثَّلاجة ... وشعر على الفور أن جسده قد تصلَّب من مفاجأة البرودة الشَّديدة، وأخذت أسنانه تصطك، وعرف أنه سوف يموت خلال ساعات قلائل، فسوف يفقد جسده حرارته تدريجيًّا ويموت متجمدًا ... وقرر ألا يجلس وأخذ يجس جدران حجرته كانت من الأسمنت المسلح، وليس فيها فتحة واحدة وأدرك أنه في مصيدة الموت!

مضت ساعة و«أحمد» يسير في حجرته محاولًا بعث الحرارة في جسده ... ثم فجأة سمع صوت الباب يُفتح، واستدار ليرى «عثمان» أمامه ... كانت مفاجأة ضخمة حقًّا ... وقال «عثمان» بسرعة: لقد اقتحمنا المكان منذ لحظات واستطعنا معرفة مكانك! ...

أحمد: لماذا تأخرتم؟

عثمان: لقد رأينا مجموعة من الرجال متجهين إلى الطائرة، وعرفنا أنهم سيحاولون الاستيلاء عليها ... وقد دارت بيننا وبينهم معركة ضخمة على الجليد، و«هدى» مصابة! ...

ارتاع «أحمد» وقال: هل إصابتها خطيرة؟

عثمان: لا أعتقد ... وقد مددناها في غرفة الدكتور «جمال زهران».

أحمد: هل قابلتموه؟

عثمان: نعم ... إنه هو الذي مكننا من الدخول، وهو الآن يشرف مع بقية الشَّياطين على تجريد المركز الذري من الأدوات الدقيقة، حتى لا يتمكن من سيبقى فيه من إجراء تجارب جديدة!

أحمد: إنكم أولاد رائعون حقًّا ... هيَّا بنا ...

انطلقا معًا حتى وصلا إلى قاعة الاجتماعات ... كان العلماء يجلسون حول المائدة المستديرة، وقد بدا على بعضهم الفرح، وكانت «إلهام» تجلس على مائدة في طرف الغرفة، وهي تحمل مدفعًا رشاشًا ... وقالت وعيناها مثبتتان على الرجال: إن «قيس» يطارد بعض الحراس داخل المبنى، ومعه الدكتور «جمال زهران».

أسرع «أحمد» و«عثمان» ناحية صوت بعض الطلقات النارية في الجزء الأيسر من المبنى ... وعندما وصلوا إلى المكان، شاهدوا «قيس» يقف خلف جدار، بينما أحاطت به مجموعة من الرجال يتبادلون معه إطلاق الرصاص ... انطلق على الفور مدفع «عثمان» ناحية الأركان التي اختفى خلفها الرجال، بينما قام «أحمد» بحركة التفاف واسعة، استطاع بعدها أن يقف خلف اثنين من المهاجمين، وقفز قفزة عالية، وهبط عليهما معًا بضربتين قويتين، سقطا على أثرهما على وجهيهما، وفي لحظات كان «أحمد» يمسك بأحد المدفعين، ويأمرهما أن يظلا منبطحين ...

سكتت أصوات الرصاص ... وسمع «أحمد» صوت أبواب تُفتح وأسرع يجري ومعه «عثمان»، ووجدوا بعض الرجال قد فتحوا الأبواب، وأخذوا يبتعدون على الثَّلج، وانطلقت الرصاصات. كانت كلها في السِّيقان ... فقد كان مبدأ الشَّياطين لا قتل إلا للضرورة القصوى، أو للدفاع عن النفس ...

ولاحظ «أحمد» أن عاصفة ثلجية بدأت تهب ... وأسرع يغلق أبواب المركز الذري، ثم ليرى ما يحدث بالداخل ... كان كل شيء هادئًا، وجمع «قيس» بقية الرجال الذين في المركز، وكانوا قد أصبحوا قلَّةً ... وجلسوا جميعًا في قاعة الاجتماعات، وقال «أحمد»: لقد جئنا لإنقاذ العلماء المخطوفين ... وسوف نصطحب معنا من يريد من هؤلاء العلماء، وعلى كل حال سوف يعرف العالَم ماذا يجري في هذا المكان.

ردَّ أحد العلماء قائلًا: إنني أعمل هنا بمحض إرادتي ... فقد اتفقت على أن أقوم بتطوير تجاربي الذرية مقابل أجر سخي!

أحمد: هل تعرف في أي شيء تُستخدم هذه التجارب وما هو الهدف منها؟

ردَّ العالِم: إنَّها لخير الإنسانية.

أحمد: إنك مخطئ يا سيدي ... إن الذين اتفقت معهم على العمل، طلبوا منك الاحتفاظ بسر وجودك هنا وبسر تجاربك، أليس كذلك؟!

ردَّ الرجل: نعم!

أحمد: ذلك؛ لأنها تجارب تتم في الخفاء لحساب منظمة إجرامية عالمية، هدفها التهديد والقتل!

ساد الصَّمت بعد هذه الجملة، وقال «أحمد»: على كل حال ... إن عندنا أماكن لعشرة منكم، وسوف تصل طائرات أخرى بعد يوم أو يومين. إننا لا نريد أن نفرض عليكم شيئًا، ولكن أرجو ألا يحاول أحد منكم عمل أي شيءٍ قبل أن يسألنا ... والآن سنتناول جميعًا العشاء، ثم نأوي إلى أَسرتنا، فسوف نسافر في الصَّباح الباكر.

وأسرع «أحمد» بعد ذلك إلى غرفة «هدى»، وكان الدكتور «جمال زهران» معها، وقد قام بتضميد الجرح الذي أُصيبت به، وأسرع إليها «أحمد» متسائلًا، فقالت ضاحكة: لا تخَفْ، ليس هناك ما يُخشى منه!

أحمد: هل يمكنك السَّفر غدًا؟

هدى: بالطبع ... الآن ممكن أيضًا!

بقي «قيس» وحده في قاعة الاجتماعات يراقب العلماء، بينما قام «عثمان» بتطهير المقر الذري من بقية الحراس ...

واشترك «أحمد» مع الدكتور «جمال زهران» في نزع كل ما يمكن نزعه من أجهزة المقر الذري، حتى لا يُستخدم مرة أخرى ... وكان الدكتور «جمال زهران» يشرح لـ «أحمد» خطوات العمل في المقر ... وقال معلقًا: إنه مقر ممتاز لهذه المجموعة من العلماء ... وفي الحقيقة، إنني لم أدرك تمامًا الغرض الذي اختُطِفتُ من أجله والآن فقط، عرفت منك الحكاية!

أحمد: هل كان في إمكانكم حقًّا التوصل إلى قنبلة ذرية نظيفة، يمكن حملها بواسطة التجارب التي قمتم بها هنا؟

الدكتور: لا أستطيع أن أقول لا أو نعم ... ولكن ربَّما كان هذا ممكنًا بمرور الوقت!

وكان الليل قد أوغل، واشتدت العاصفة الثَّلجية، ونام كل من في المركز ما عدا «عثمان» و«أحمد» اللذين توليا الحراسة أول الليل ... وفي النصف الآخر تولَّى «قيس» وحده الحراسة، وظلت العاصفة تدوي حتى أشرقت شمس اليوم التالي ... ودبت الحياة مرة أخرى في المركز، وبدأ المرشحون للسفر من العلماء يستعدون للخروج.

وعندما فتح «أحمد» الباب ليكون أول الخارجين، خُيِّل إليه أنه يسمع صوتًا بعيدًا ... وصوتًا لا يمكن أن يكون في هذه الأصقاع المثلجة، واستدعى «إلهام» التي أنصتت قليلًا ثم قالت: إنها طائرة قادمة من هذا الاتجاه!

وقال «أحمد» في ضيق: إنه «مارتينز»! يجب أن نسرع! ...

لبس الجميع زحافاتهم، وكانوا سبعة من العلماء ...

وزحافة عليها «هدى» ومجموعة الأجهزة التي انتُزعت من معامل المركز الذري، والشَّياطين الأربعة، ثم بدأت الرحلة إلى الطائرة ...

وفي نفس الوقت كان صوت الطائرة القادمة يزداد وضوحًا ... وسرعان ما بدت في الأفق وهي تسير منطلقة كالصَّاروخ.

وكانت الأرض هشَّةً من أثر عاصفة الليل، والسَّير صعب. وبين لحظة وأخرى كان «أحمد» و«عثمان» يسرع لمساعدة من يقع من العلماء ... وبدأ سباق بين الطائرة التي أخذت تحوم للنزول، وهؤلاء المجموعة من الفارين ... وأخيرًا نزلت الطائرة عند الجانب الشَّمالي من المركز الذري، بينما كانت المجموعة المسافرة على بعد نحو ثلاثة كيلومترات من طائرة الشَّياطين.

وبنظارة مكبرة استطاعت «إلهام» أن ترى النازلين من طائرة «مارتينز»، لقد نزلوا مسرعين ناحية المركز. وعرفت أنهم سوف يحررون الحراس الأسرى ثم يسرعون إليهم، فصاحت تستحث الجميع على الإسراع.

مضت القافلة ناحية الطائرة حتى وصلوا إليها، كانت العاصفة الثَّلجية قد ألقت عليها كميات هائلة من الجليد ... وشعر «أحمد» بانقباض شديد ... فقد لا يستطيعون تحريك الطائرة والتحليق بها ... وأسرع هو و«قيس» إلى باب الطائرة. وأخذا يزيحان الجليد المتراكم عليه ... ثم أشار «أحمد» إلى العلماء ونادى الدكتور «زهران»، وطلب منه المساعدة في إزاحة الجليد عن جسم الطائرة، بينما قام «قيس» بإزالة الجليد عن العجلات، بعد ساعة من الجهد المضني أزالوا معظم الجليد عن الطائرة، وفتحوا بابها ودخلوا ... ثم أسرع «أحمد» و«عثمان» إلى كابينة القيادة وأخذا يديران الآلات، لكن المحرك لم يستجب، وأخذ «أحمد» يدير ويدير دون فائدة، ومن خلال نافذة القيادة شاهد مجموعة من الرجال قادمين، عرف على الفور أنهم من رجال «مارتينز»، وأدرك أن مهمة الشَّياطين قد فشلت تمامًا، وأنهم واقعون لا محالة في أيدي المهاجمين، وأخذ يفكر بسرعة في حلٍّ، عندما حضر إليه الدكتور «زهران»، وقال له: هل عندك جهاز يَدَوي للتدفئة؟

أحمد: لماذا؟

زهران: لأننا كنا نتغلب على تجمد المحركات بتسخينها تسخينًا يدويًّا ...

وأسرع «أحمد» بإحضار الجهاز، وأسرع الدكتور «زهران» يدفئ المحركات وأخذ «أحمد» ينظر إلى رجال «مارتينز» الذين كانوا يطيرون على الثَّلج ... وكانت المسافة تضيق وتضيق بينه وبينهم ... وأصبحت مهمتهم مهددة بالخطر تمامًا، عندما صاح الدكتور «جمال زهران»: أدر المحركات ...

وجلس «أحمد» إلى أجهزة القيادة، وأدار المحركات النفاثة ... وسمع أجمل صوت في حياته، عندما استجابت التوربينات للحركة، وأخذت تصدر أصواتًا متقطعة، ثم دارت التوربينات، وأخذت الطائرة تهتز ... و«أحمد» يراقب مجموعة «مارتينز» التي كانت تسرع إليهم ...

ومشت الطائرة على الجليد الهش، و«أحمد» يدعو الله ألا يقعوا في منطقة هشة، فلا تتحرك الطائرة من مكانها.

وأخذ رجال «مارتينز» يقتربون شيئًا فشيئًا، لم يعد بينهم وبين الطائرة إلا بضعة من الأمتار ... ولاحظ «أحمد» أن بعضهم قد توقف وأخذ يصوب بنادقه إلى الطائرة. وكانت رصاصة واحدة تصيب مخزن الوقود كافية لإشعال الطائرة، ولم يكن أمامه إلا أن يختصر مسافة الجري على الجليد، ويطلق للطائرة العنان، وصاح بها، وكأنها تسمع نداءه: هيَّا!

وترنحت الطائرة لحظات حاسمة على الجليد.

ثم هدرت المحركات النفاثة، وقفزت الطائرة إلى الفضاء، وأخذت تصعد تدريجيًّا، و«أحمد» يرى رجال «مارتينز» على الجليد، وكأنهم مجموعة من الذباب على سطح طبق من اللبن ... وابتسم لأول مرة. ونظر إلى الشَّياطين الذين كانوا معه في الكابينة، وقال مازحًا: أظن أن «مارتينز» لم يخطئ في حياته مثلما أخطأ عندما اختارني حارسًا له!

ومضت الطائرة تحلِّق مبتعدة، بعد أن أحبط الشَّياطين أكبر وأخطر مخططٍ إجراميٍّ لحكم العالم.

هنـــداوي